أد.بلعربي خالد جامعة سيدي بلعباس.

إسهام العلماء الأندلسيين في الحركة العلمية بوهران من القرن الخامس الهجري إلى القرن التاسع الهجري(11-15م)

ملخص البحث: يهتم الملف الذي نزمع فتحه في هذه المداخلة، بدراسة مساهمة العلماء الأندلسيين في تطور الحركة العلمية بوهران خلال الفترة الوسيطية، وهو موضوع لم ينل حظه في الدراسات التاريخية الحديثة، رغم أهميته في تشكيل الملامح العامة للحركة العلمية بوهران خلال هذه الفترة، و قد بدأت حركة هجرة علماء الأندلس إلى وهران خلال القرن الخامس الهجري(11م) ، حيث شغف الأندلسيين بها و جعلتهم على صلة بإخوانهم في الدين يأخذون عنهم و يتذاكرون معهم وقد أتاح نزولهم بوهران أن برز الإشعاع العلمي الأندلسي في الخارج وبذلك تحقق التلاقح الحضاري و التآزر العلمي، وزكاه العطاء في مختلف المجالات. لقد وجد هؤلاء العلماء أرضا خصبة و العيش الكريم في وهران بعد نزولهم فيها،مما جعلهم يساهمون في جعل وهران محط أنظار المسلمين، و طلبة العلم و المعرفة، ومركز إشعاع ثقافي في المغرب الأوسط، حتى أصبحت مجمعا للعلماء من كافة أصقاع العالم الإسلامي، ووسامعلمي يزيد مكانة العالم المسلم، فانتشرت بها كل أنواع العلوم، و استوطنها هؤلاء العلماء، و عقدوابها المناظرات و الحلقات، وهو ما جعل وهران تتبوأ مكانة علمية متميزة في العصر الوسيط. ونعتقد أن الوقوف على حقيقة مساهمة العلماء الأندلسيين في تطور الحركة العلمية بوهران خلال الفترة الوسيطية، قمين بالإجابة عن التساؤلات التالية:

1- ماهي العوامل التي ساعدت على استقرار الأندلسيين بوهران؟

2- ما مدى مساهمة علماء الأندلس في دفع الحركة العلمية بوهران خلال هذه الفترة ؟

3- ماهي المجالات المختلفة التي شملتها الحركة العلمية؟

الكلمات المفتاحية: الأندلس، وهران، الحركة العلمية ،المغرب الأوسط،العلماء.

Abstract: The following article studies the contribution of the Andalusian scientists in the development of the scientific movement in Oran during the Middle Period, a topic that has not been given much importance in modern historical studies, despite its importance in the formation of the general features of the scientific movement in Oran during this period, and Immigration scholars of Andalusia movement had begun to Oran during the fifth, where the Andalusian passion for Oran had made them in close touch with their brethren in religion; this took led to achieve led to 'cross-fertilization' of cultural and scientific collaboration in various fields. These scientists had found fertile ground and a decent living in Oran, where after disembarking, contributed to making Oran the focus of the Muslim's attention, and disciples of science and knowledge, and the center of cultural radiation in Middle Maghrab. Scientists, held their debates and seminars, which made the Oran occupy a distinguished scientific status in the Middle Ages. We

believe that the contribution of the Andalusian scientists in the development of the scientific movement in Oran during the Middle Period, is bound to answer the following questions:

1. What are the factors that helped to stabilize the Andalusians in Oran?
2. What is the contribution of scholars of Andalusian scientists in spreading the scientific movement in Oran during this period. ?
3. What are the different areas covered by the scientific movement?

مقدمة:

وهران مدينة كبيرة من مدن المغرب الأوسط اشتهرت بقلاعها و أبراجها و أسواقها الكثيرة و مرساها الكبير

على ساحل بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) يتفق الجغرافيون على أن مجموعة من البحارة الأندلسيين كان لهم دور كبير في بنائها و ذلك بقيادة محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون اللذين كانا ينتجعان مرسى وهران باتفاق منهم مع قبيلتي نفزة وبني مسقن وهم من ازداجة[1] فأقاموا المدينة سنة290هـ-903م بينما الذي كان وراء اختطاطها هو خزر بن حفص بن صولات بن ونزمار أما الذي أمر ببنائها فهو الخليفة الأموي في الأندلس أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الذي تولى الحكم سنة 257هـ و توفي سنة300هـ-913م[2].

العوامل التي ساعدت على التقارب و التواصل بين وهران و الأندلس:

كانت هناك عدة عوامل رئيسية ساهمت في خلق شروط الاستعداد و التواصل والتقارب بين وهران

والأندلس أهمها العامل الجغرافي فقد كان الطريق البحري من ألمرية إلى وهران من أهم الطرق البحرية الذي من خلاله قصد الكثير من الأندلسيين وهران وساهم في الربط بين المغرب و الأندلس و تجلى ذلك في تمتين الروابط العلمية و الثقافية بين مسلمي العدوتين الأندلسية و المغربية[3]، أضف إلى ذلك أن كلا من الأندلس ووهران نهلا من معين ثقافي واحد نابع من حضارات البحر الأبيض المتوسط منذ أقدم العصور فكلاهما تأثر بالإشعاعات الفكرية و العلمية التي أنتجتها شعوب المنطقة خلال العصر القديم و بالمقابل ساهمت الرحلات العلمية بين وهران و الاندلس فأخذ العلماء و الأدباء يزدادون اتصالا بعضهم بعضا و كان طلبة غرناطة و الأندلس بصفة عامة يجيزون إلى بلاد المغرب للاستزادة و المعرفة و منها وهران للأخذ عن علمائها بل المساهمة في دفع الحركة العلمية بها[4].

والجدير بالملاحظة أن انتشار الإسلام في المنطقة لم يكن عامل انفصال و توقف في المجال الحضاري بل كان عامل تواصل و تفتح بين شعوب العدوتين و كانت الحضارة العربية الإسلامية في الفترة الوسيطة عبارة عن حصيلة ما وصل إليها العقل الإنساني في ذلك العهد.

دور العلماء الأندلسيون في تطور الحركة العلمية بوهران:

في هذا الجو والمتسم بروح الترابط الثري و الاتصال المثمر تبلورت العلاقات الثقافية بين وهران وبلاد الأندلس فقد حفظت لنا المصادر أخبار الكثير من علماء الاندلس الذين ساهموا بقسط وافر في دفع الحركة العلمية بوهران خلال هذه الفترة منهم **أبو العباس أحمد بن عبد الله بن ذكوان بن عبد الله بن عبدوس بن ذكوان الأموي الملقب بأبي العباس** توفي سنة413 هـ -1023م

، كان من "أعلام مشيخة العلم و الدين و الشهرة و الصلابة في الحق "ولاه القضاء المنصور فكان من خير القضاة نزاهة، و علما، و معرفة، و رزانة ، و عدلا وحزامة و كان من خاصته يلازمه في رحلاته و غزواته و كان يفاوضه في تدبير الملك و في سائر شؤونه، كانت الصلاة والخطبة أيامه لإبراهيم بن الشرفي الحاكم، فجمعت مع القضاء لابن ذكوان. ولم يزل على هذا الى أن هلك المنصور.[5]

وفي عهد ابنه عبد الملك الملقب بسيف الدولة أقره في هذا المنصب إلى أن فسد ما بين القاضي وبين وزير الدولة، عيسى بن سعيد، بسبب فسخ شراء ضيعة اشتراها عيسى من ولد ابن السليم السفيه، فقضى ابن ذكوان بردها الى السفيه وفسخ بيعه، فالتحمت بينهما العداوة، ونسب الى أبي العباس القدح في الملك فصرف المظفر أبا العباس ابن ذكوان عن القضاء والصلاة. وصرف أخاه أبا حاتم عن المظالم. وساء رأيه فيهما. وولى مكانه القضاء والصلاة، عبد الرحمن ابن فطيس[6]، وبعد تكاثر الشكاوي بحق الوزير عيسى بن سعيد و فقدان عبد الملك الثقة فيه ورغبة وأسف الناس على إبعاد أبي العباس ، ازداد رفعة الى رفعته وسمت حاله عند المظفر فأرجعه إلى منصبه بعد تسعة أشهر من عزله[7].

ولما انقرضت الدولة العامرية و قامت الفتنة في قرطبة وولاية المهدي ابن عبد الجبار المرواني الثانية، كان أحقد الناس على ابن ذكوان، بخاصة تقربه من العامريين، ناقماً عليه أحكاماً أمضاها

عليه في قضائه، الى أن عوجل المهدي فمضى لسبيله، خاصة بعد مقتل حاجبه واضح الصقلي ، وبعد مبايعة الناس لهشام المؤيد خلافته الثانية، قام واضح بأمره وحجابته، والبرابرة مع سليمان المستعين يفاتنون قرطبة، ويرومون دخولها. وكان هوى بني ذكوان في جماعة الناس الى السلم وصلح البرابرة وصاحبهم ،فيقال إن ابن ذكوان نصح لهشام في واضح فبلغت واضحاً، فسعى على بني ذكوان، بالتهمة في الميل الى البرابرة، وأن الناس تبع لما يشيرون به. فنفذ أمر هشام بإخراجهم عن الأندلس ونفيهم

الى العدوة. فأخرج أبو العباس وأخوه أبو حاتم وأخوهما الأديب أبو عمر. وذلك في سنة إحدى وأربعمائة. ووكل بهم من يوصلهم، فحملوا الى ألمرية وأجيزوا لحينهم البحر في حال شدة وارتجاجه وعنِّف بهم، وخلفوا دوابهم وثيابهم، فكتبت سلامتهم. وخرجوا الى وهران". و بعد مقتل واضح حسن الرأي فيهم و عادوا إلى الأندلس إلا أنهم لم يتعاودوا العمل[8].

ومما لا شك فيه أن أبا العباس أحمد بن عبد الله قد تمكن من خلال إقامته القصيرة في وهران من نشر العلم بها،مساهما في تحقيق نهضتها الحضارية والعلمية،مطورا للعلاقات الثقافية بين الأندلس ووهران.

ومن جملة الأندلسيين الوافدين على وهران و كان لهم دور في تطور الحركة العلمية بها نذكر كذلك **محمد بن عبد الله بن مروان بن جبل الهمذاني،** الوهراني مولدا،التلمساني منشأ و أصله من الاندلس،جد في طلب الفقه و الأدب ومال إلى العلم الظاهر، ولى قضاء تلمسان و اشتهر بذلك حتى أعجب الخليفة المنصور الموحدي به فاستدعاه إلى حضرته وولاه قضاء الجماعة بمراكش وكان فقيها متمكنا،شديد الهيبة،يتحرى العدل ولا يخشى في الحق لومة لائم[9]، ومما يتصل بأبي عبد الله ابن مروان أيام قضائه أنه طالب الخليفة المنصور برد أخته إلى زوجها الشيخ عبد الواحد الحفصي وقال له: إما أن تسير إليه، وإلا فاعزلني عن القضاء. وقد خضع الخليفة لحكم الشرع ،**وانقاد** لأوامره توفي بفاس سنة 601هـ. كان أبو عبد الله مستبحرا في حفظ المسائل،

ماهرا في النظر شديد الهيبة،بصيرا بالأحكام، ولم يزل قاضيا للمنصور حتى سنة592هـ[10] حين

عزله من منصبه وولى مكانه أبو القاسم بن بقي الفقيه المحدث بعدما اتهمه في التقصير في الصدقات وعندما تولى الناصر أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن

يوسف بن عبد المؤمن رده إلى قضاء الجماعة حتى مات. وكذلك الإبن **أبو عمران موسى بن محمد بن مروان الهمذاني** أقام مع أبيه أبو عمران بن مروان وقتا أصله من وهران،كان طالبا للعلم فدرس على يد أبيه وأخد عن غيره[11]، و **أبي محمد عبد الله بن محمد بن جبل الهمذاني** أصله من الأندلس كان فقيها خطيبا متميزا، توفي سنة557هـ[12]. و **الحاج عبد الله بن الصباح** وينسب إلى بلدة شاطبة،شرق الأندلس، وفي النصف الثاني منالقرن الثامن الهجري بدأ برحلة جاب خلالها أقطار المغرب والمشرق ، حيث مكنته رحلته من زيارة وهران و في ذلك يقول الحاج عبد الله الصباح في رحلته الموسومة ب**أنساب الأخبار و تذكرة الأخبار**" ومدينة وهران المذكورة مدينة مباركة بالحرث و النسل و الخصب . .. مدينة مكملة بالخير كافية"[13] ونخلص في رحلته عن وهران أنه اتخذها فيما يبدو بعد الرحلة مستقرا و مقاما له ومن المؤكد أن الرحلة التي قام بها الحاج عبد الله بن الصباح إلى مدينة وهران، كانت ذات فوائد جمة على الطرفين، فقد أفاد من علمه طلبة وهران كما استفاد من علم علمائها و تناظر معهم في شتى العلوم و المعارف كما يجب أن نذكر **القلصادي أبو الحسن علي بن محمد بن علي القرشي البسطي المعروف بالقلصادي** الذي ينسب إلى بلدة قلصادة الواقعة شرقي غرناطة ولد بها سنة 815هـ وفي سنة .840هـ-1436م بدأ رحلته العلمية التي عرفت ب"رحلة القلصادي" بدأها من وهران إذ يقول "**فحللنا بوهران و أقمنا بها أياما في سرور و أمان**"[14] ثم يوكد أنه عاد إليها بعد إقامته ثماني سنوات في تلمسان إذ يقول" **فقدمت وهران وذلك عام ثمانية و أربعين و ثمانمائة. .. و أقمت فيها برهة من الزمان مع عدة من الأجباب و الإخوان**"[15] ثم يعرج القلصادي على ذكر العلماء الكبار الذين التقى بهم في وهران، ومنهم أبو عثمان سعد الشلوني إمام

جامع الأعظم، الذي هاجر من قندية بأرض شاطبة و كذلك الشيخ إبراهيم بن محمد بن علي التازي من تازة المغربية و الفقيه يحي الهنيني و الشيخ الفقيه أبو الحسن علي بن قاسم و منهم أبو الربيع سليمان الحميدي[16].

لكن السؤال المطروح عند حديثنا عن علماء الأندلس ومساهمتهم في الحركة العلمية بوهران هو كالتالي **ماهي الأسباب التي دفعتهم للهجرة من الأندلس نحو مدن المغرب الأوسط ومن بينها وهران ؟**

يرى الكثير من المؤرخين أن هجرة الأندلسيين إلى مدن الغرب الأوسط بدأت منتصف القرن الثاني للهجرة(2 – 3هـ / 8 – 9م)، وفي إطار التعاون العلمي المشترك بين الدولة الأموية في الأندلس والرستمية في المغرب الأوسط وقد اشتهر من بين هؤلاء الوافدين اثنان هما: عمران بن مروان الأندلسي ومسعود الأندلسي [17]، كما أن الدولة الرستمية خلال هذه الفترة بلغت ذروة التقدم خاصة في المجال الفكري فقصدها الطلاب من كل حدب و صوب،ولم يتردد الحكام الرستميون في مباركة هذا النشاط العلمي حت سميت تيهرت ب "بلخ العراق " أو "العراق الصغير".[18]

ومع نهاية القرن الخامس إلى غاية القرن السابع للهجرة، نشطت حركة الهجرة بشكل ملفت للانتباه مقارنة بما كان عليه الوضع في المرحلة السابقة، وأخذ عدد المهاجرين الأندلسيين في تزايد ولو بشكل طفيف، ويعود السبب في ذلك إلى عدم الاستقرار السياسي في الأندلس وبداية حركة الاسترداد التي تزعمتها الكنيسة.و بداية شروع الإسبان في تنفيد حروب الاسترداد المسيحي (Reconquista)لطرد الوجود العربي الإسلامي من المنطقة[19] حيث بدأت هذه الحركة باستهداف مدن الأندلس وحواضرها، حيث كانت البداية بسقوط طليطلة 478هـ – 1085م، ثم تبعتها سرقسطة (512هـ – 1118م)، فكانت ضربة قاسية للمسلمين، حيث شهدت الأندلس سقوطا متتابعا وسريعا لمدنها الشرقية والغربية خاصة بعد انهزام

المسلمين في معركة العقاب (619هـ – 1222م)، فسقطت قرطبة 633هـ – 1235م، وبلنسية 636هـ – 1238م، وشاطبة (645هـ – 1247م(، وإشبيلية 646)هـ – 1248م)، ومرسية (666هـ – 1267م)(22). مما جعل سكان تلك المدن يتوجهون إلى مدن المغرب الإسلامي وفي مقدمتها تلمسان ووهران بحكم القرب الجغرافي[20]. و لعل من أخطر المراحل التي ميزت تاريخ المسلمين في الأندلس وفتحت أبواب المأساة الحقيقية للمهاجرين الأندلسيين هي مرحلة المصير المحتوم للأندلس ويمكن التأريخ لها من نهاية القرن السابع للهجرة إلى غاية سقوط غرناطة آخر معقل للإسلام والمسلمين بالأندلس.

شهد المغرب الأوسط خلال هذه الفترة ظروفا متميزة ساهمت في تزايد عدد المهاجرين الأندلسيين إلى حاضرة المغرب الأوسط ومدنها المجاورة، بسبب استمرار الضغط المسيحي بقيادة ألفونسو الحادي عشر ملك قشتالة وليون، بدعم من ملك إنجلترا إدوارد الثالث وملك البرتغال ألفونسو الرابع، بتأييد من البابا كليمونت على ما تبقى من مدن الإسلام والمسلمين وإلحاق الهزيمة بجيش المسلمين في معركة صلادو (Salado)عند مضيق جبل طارق سنة 743هـ – 1342م واحتلال الجزيرة الخضراء[21] و فرض حصار شامل على غرناطة لمدة سبعة أشهر سنة 896هـ – 1490م، وتضييق الخناق على أهلها، وقطع الإمدادات عليها، وتسليمها للملكين الكاثوليكيين: فرناندو وإيزابيلا وينقل لنا صاحب كتاب "نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر اتجاهات مهاجري الأندلس ومدة إبحارهم إثر سقوط غرناطة بقوله: "**وخرج ما بقي من أهل مالقة في ثلاثة أيام إلى باديس، وأهل المريّة في نصف اليوم إلى تلمسان، وخرج كثير من أهل غرناطة إلى بجاية ووهران**"[22] وهو ما يؤكد اختيارهم لعدد من مدن وحواضر المغرب الأوسط كموضع للسكن والاستقرار.

على أن المغرب الأوسط خلال هذه الفترة شهد نهضة علمية لم يعرفها من قبل و ذلك راجع بالأساس إلى العناية التي أولاها السلاطين الزيانيون للعلم والمعرفة، حتى ضاقت عاصمة الزيانيين بأهل المعرفة و العلم[23]، كم سعوا هؤلاء السلاطين إلى توفير الأمن و الاستقرار لهؤلاء الوافدين فأكرموا وفادتهم، وأحاطوهم بالعناية الكاملة،و أغدقوا عليهم العطايا، وكان من نتيجة ذلك تفضيل الكثير من الأندلسيين الهجرة إلى المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، خاصة بعد أن أصدر السلطان الزياني ظهيرا في حقهم يؤكد على العناية الكاملة بهم، و يكرم نبهاءهم و أعيانهم غاية الإكرام[24]. واستمر نفس الوضع مع السلاطين الذين تعاقبوا على حكم الدولة الزيانية بعد يغمراسن الذين تنافسوا فيما بينهم لخلق أسباب الراحة لهؤلاء الأندلسيين الوافدين على بلادهم.

ويستنتج مما سبق أن العلماء الأندلسيين كان لهم دور كبير في ازدهار الحركة العلمية في وهران خلال هذه الفترة، فتعمق التحصيل،وتنوعت حلقات الدرس ومجالس العلم بوهران،فأثروا بذلك على الساحة الفكرية، ودفعوا بالعلوم نحو الازدهار و نبغ في وهران العديد من العلماء،تميزوا بعمق التفكير و غزارة التحصيل فيما بعد.

الهوامش:

1-أبو عبيد الله البكري،المسالك و الممالك،تحقيق فان ليوفن و أندري فيري،بيت الحكمة،الدار العربية للكتاب قرطاج1992م،ج2 ص378.ينظر كذلك: **Picard, Christophe, *La mer et les musulmans d'Occident au Moyen Âge*, Paris, puf, 1997, pp. 78–80**

2- أبو راس الناصري ،عجائب الأسفار و لطائف الأخبار،تحقيق محمد غالم،منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية ،وهران(د ت) ص ص67-68.

3-بوحسون عبد القادر ،العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و الأندلس خلال العهد الزياني رسالة ماجستير(مرقونة) جامعة تلمسان2007-2008م ص110.

4- عبد الحميد حاجيات،تطور العلاقات الثقافية بين تلمسان وغرناطة في العصر الوسيط، مجلة عصور الجديدة، العدد2 ،السنة2012 ،ص37.

5-القاضي عياض ،ترتيب المدارك وتقريب المسالك،ضبط محمد سالم هاشم-دار الكتب العلمية بيروت1998 ،ط1 ،ج2 ، ص166. ينظر كذلك:ابن الأبار القضاعي،التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس،دار الفكر بيروت 1995م ج1ص111.

6-نفسه،ج2 ، ص254.

7- نفسه،ج2 ، ص255.

8-نفسه ،ج2 ، ص257.

9-ابن الأبار،المصدر السابق، ج2، ص161.

10-القاضي عياض،المصدر السابق، ج2 ،259. ينظر كذلك: عبد القادر بوباية،الروابط الثقافية والعلمية بين وهران والعدوة الأندلسية، مجلة إنسانيات،العدد23-24 منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية ،وهران السنة2004 ص67.

11-لسان الدين بن الخطيب،أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام و ما يتعلق بذلك من الكلام،تحقيق سعيد كشروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1 1424 هـ-2003م ج2،ص45.

12-نفسه ،ج2 ص47.ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص161.

13-الحاج عبد الله بن الصباح،أنساب الأخبار و تذكرة الأخيار،تحقيق محمد بنشريفة،دار أبي رقراق للطباعة و النشر،الرباط،المغرب،2008 ص95.

14-أبو الحسن علي القلصادي،رحلة القلصادي،دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان،الشركة التونسية للتوزيع تونس ط2 1406هـ-1985م ص30.

15-نفسه،ص30.

16- نفسه،ص31.

17-ابراهيم بحاز،الدولة الرستمية160-296هـ/777-909م،دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحركة الفكرية،منشورات ألفا الجزائر ط3 1431هـ-2010م ص457.

18-نفسه، ص213.

19-السيد عبد العزيز سالم،في تاريخ و حضارة الإسلام في الأندلس،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية ص101.ينظر كذلك:الطوخي أحمد أمين ، مظاهر الحضارة في الأندلس في عهد بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية ،ص73.

20-نفسه،ص101.

21-نفسه،ص123.

22-نفسه،ص175.

23-عبد العزيز فيلالي،تلمسان في العهد الزياني،موفم للنشر و التوزيع الجزائر2002 ص175.

24-نفسه ص176.